راضي مهدي السعيد

علي الحلي شاعر القضية

كم كان بودي ان اكتب بعض اللمحات والخواطر الصادقة في شعر الصديق الاستاذ علي الحلي منذ صدور ملحمته الاولى او بالاحرى قصيدته المطولة (الشاعر) عام ١٩٥٤ . ولكن عقبات كثيرة وقفت حائلا بيني وبين تحقيق هذه الرغبة . وقد اسميتها (عقبات) من باب المجاز لانها كانت تحمل قيودا نفسية فرضتها الظروف علي فرضا قاسيا باعتباري احد اصدقائه الحميمين الذين لم ينفصموا عنه لحظة واحدة بالرغم من كل التازمات الحادة التي حصلت ما بين اغلب التجمعات الادبية تبعا لاختلاف وجهات النظر في المسائل السياسية والقضايا المبدئية عقب ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ . وربما كان سبب عدم انفصام علاقتي به يرجع الى ايماني الراسخ بانه شاعر يدافع عن قضية لا تتحدد ببعد واحد ولا تقف عند مساحة معينة قد تضيق او تنعدم انعداما تاما في مرحلة قريبة من مراحل الكفاح الوطني الثوري المتصاعد . وهذا الامر هو الذي كان يجعلني في موقف المدافع عنه وعن بعض الاخوة الادباء في اروقة اتحاد الادباء السابق حينما كان يحاول البعض ان يوسعوا شقة الخلاف ويثيروا نقاشات طويلة حول اتخاذ موقف متصلب من اي اديب لم يتلاءم فكرا وعقيدة ومنهجا مع مسيرة ذلك الاتحاد بالشكل الذي به يرسمونها ويجدونها هم لا جميع اعضائه .

وقد تأكد هذا المعنى ـ معنى شاعرية الحلي التي تنتمي الى القضية القومية ذات المفهوم الانساني الشامل ـ لجملة كبيرة من ادباء ذلك الاتحاد البارزين فأخذوا يبذلون جهودا صادقة في مد يد النآصر والمؤاخاة له ولاخرين يحملون نفس روحيته وابعاده . فكان لذلك لقاء وكان موقف ظهرت نتائجه الرائعة بعد فترة زمنية ليست بالطويلة . وكانت القضية ذات الابعاد الانسانية المؤطرة بالحس القومي الصادق هي المخط الواضح والمرسم المدل لها ولكل الوانها وتشكيلاتها على المرتبع الادبي الجديد .

ولعل الحديث عن شاعرية (الحلي) ومن خلال ديوان واحد لا يعطي صورة متكاملة لها لانه حسب اعتقادي سيكون حديثا مبتورا ليس فيه من التلقيات والمعطيات ما يجعله تناولا ادبيا حقيقيا له سماته الواضحة وابعاده الشاملة ومرتكزاته المتينة ومكوناته الاولى التي لا يمكن فصلها او تجزئتها باي حال من الاحوال ، لان(الحلي) قد اصدر عدة مجموعات شعرية وبفترات مختلفة قبل ديوانه الاخير (شمس البعث والفداء) والذي نحن الان بصدده . فملحمة(الشاعر) اصدرها عام ١٩٥٤ ، و (انسان الجزائر) اصدرها عام ١٩٥٨ ، و (طعام المقصلة) اصدرها عام ١٩٦٢ ، و (ثورة البعث) اصدرها عام ١٩٦٣ ، و (المشردون) و (غريب على الشاطىء) اصدرهما عام ١٩٧٠ ، ثم في عام ١٩٧١ اصدر مجموعته الاخيرة (شمس البعث والفداء) عدا مجموعته الشعرية باللغة الانكليزية باسم (قصائد مختارة) ايضا عام ١٩٧١ . ومن هذه النقطة بالذات سأحاول المرور سريعا على كل مجموعة من مجموعاته السابقة لامد جسرا بين هذه الفجوات الزمنية المتباعدة الخطى والمتعرجة المسافات والمتباينة المواقع علوا وانخفاضا ، صعودا وهبوطا ، غير معط لنفسي الحق في ان تندفع ـ بحكم عامل الصداقة الوثيقة الروابط ـ اندفاعا عاطفيا لتضفي على شاعريته اشياء لم تكن لتوجد او لتبلغها باي معنى من المعاني .

في قصيدته الطويلة او ملحمة (الشاعر) ذات النفس الجواهري المتدفق ، يبدو لنا الحلي شاعرا متمكنا الى اقصى حدود التمكن من امتلاك ادواته الشعرية بحيث لا يدعنا نشك بقدرته على جعلنا مأخوذين بسحر الفاظه المنتقاة وبرقة معانيه واخيلته المجنحة وصياغة كلماته ذات الجرس الموسيقي العذب والمتواصل الرنين عبر انسياب عفوي من اللمحات الخاطفة والالتماعات المضيئة في عالم نفسي . وقد استطاع من خلال هذه الملحمة الشعرية الرائعة ان يرسم لنا عالمه الشعري الاول الذي ترعرع فيه ونشأ في مدارجه وملاعبه وتربى على قيعانه ورماله واستاف كل نفحاته وترمض في هجيره ومساقط لفحاته اللاهبة . ذلك العالم الذي قدر له ان يكون بيئة شاعرة دون غيره ،انه عالم النجف الطيب الذي انجب الجواهري وغير الجواهري من الشعراء الافذاذ . ان شابا يافعا ينحدر من اسرة علمية وشاعرة ايضا يقف على قمتها شاعران كبيران هما السيدان حيدر الحلي وجعفر الحلي لقمين به ان يولد شاعرا وان يكون له في عالم الشعر صوت تمتد ابعاده حيث تمتد ملكته وتتعمق تجاربه وتتفتح مغالق موهبته الصاعدة . ان شابا يافعا ينشأ في احضان والد ليس له من اصدقاء سوى الجواهري والحبوبي والجعفري واليعقوبي والخليلي لجدير به ان يترسم الخطى التي لا يترسم غيرها اي شاب من شباب ذلك البلد الشاعرة ، فكان له ذلك ، وكان له مقدرا ان يتصل بمجموعةمن شباب جمعية الرابطة الادبية المتقدين وطنية وشاعرية من امثال محمد الهجري وصالح الظالمي وحسين بحر العلوم ومحمود البستاني وضياء الخاقاني والذين

كان اغلبهم من تلامذة الشاعر الكبير الشيخ صالح الجعفري سواء في مقاعد صفوف اعدادية النجف او في اروقة جمعية الرابطة ذات اللقاءات الشعرية والادبية المتواصلة . ولهذا جاءت ملحمته وصفا دقيقا لهذه الفترة من حياته المليئة بكل الصور الحلوة والمرة ،الجميلة والكئيبة ، الخصبة والمجدبة . وكم يبدع فيها حين يقول :

كنت في محشر الاعاصير طفلا اتلوى من جذوة الرمضاء
وترعرعت يافعا كصبايا الريف يمرحن في الهضاب الظماء
وأنا ابن الرمال تلهو بها الريح انتشاء في سبسب الصحراء
كم شممت اللهاث من لاهب الآه تشظى من عصفة الانواء

الى ان يقول :

هكذا كنت للاعاصير عبدا أريحيا اقتات من ارزائي

ثم يطالعنا (الحلي) في بداية عام ١٩٥٨ بمجموعته الشعرية الثانية « انسان الجزائر » التي تتوضح فيها ملامح شاعريته ذات الحس العربي الاصيل النابع من وجدان انساني يتسم بالسعة والشمول . ولعلني لا اتجاوز الحقيقة حين اقول ان علي الحلي اول شاعر عربي يصدر مجموعة شعرية كل قصائدها تدور حول بطولة الشعب العربي في الجزائر . وقد نشرت اغلبها في مجلة « الاداب » البيروتية منذ عام ١٩٥٤ وكانت فاتحة هذه المجموعة قصيدة «مولد الثورة الجزائرية » التي يبدأها بهذا المقطع :

الفجر شع من هنا ، وانتحت الغيوم
وموكب النجوم
دوامة حمراء في مغارة تحوم
وهالة الاشعاع في الفضاء
مشاعل الدماء
مظلة الفداء
من ههنا ، وانطلق الزئير
كأنه البشير
« سنطلع الفجر على جنائز الظلام
ونصنع المجد على مذابح السلام
ونخضب التراب بالصديد

وربما كانت في رأينا قصيدة « الجزار » هي اروع قصائد المجموعة واولاها كتابة :

غانق الليل ، لن يموت النهار وعلى الافق من لظانا انتصار
يتفداه من سنا البعث فجر الدم نديان . ذوب افقيه نار
عقبات الدروب يبتل منها الشوك . والفجر كوة معطار
وعلى هالة اللهيب المضوي من جراحاتنا دم فوار

وما زلت اذكر ان مجلة « الاداب » البيروتية من عام ٥٤ الى ٥٨ قد تعرضت عدة مرات الى المنع في العراق بسبب بعض قصائد الاستاذ علي من قبل جلاوزة العهد الملكي المباد ، لانهم كانوا يعتبرونه ابرز شاعر قومي يتحلى بالحس الثوري التقدمي في العراق . ولهذا اقدمت دوائر الامن على تقديمه الى محاكمة خاصة بعد رجوعه من مؤتمر ادباء العرب الذي انعقد في بلودان وسوربا صيف عام ١٩٥٦ واصدرت امر فصله من وظيفته بسبب نشره قصيدته « السجين » في جريدة « البعث » الدمشقية بعنوان اخر هو « من وراء الستار السعيدي ». وقد نفذ قرار الفصل به في يوم ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٩٥٦ اي في يوم العدوان الغادر على مصر بعد حادث تأميم القناة المشهور .

وتصدر مجموعته الثالثة « طعام المقصلة » عن دار الكرنك في مصر عام ١٩٦٢ ويكتب لها الاستاذ هلال ناجي مقدمة ضافية متناولا مواقف الحلي الثورية وشاعريته النابعة عن وجدانه العربي الصميمي، وتمنع هذه المجموعة في العراق . وقد حفلت قصائدها بصرخات الانسان العربي المتمزق ألما لما آلت وتؤول اليه الاوضاع العربية بعد حملة من انتصاراتها الرائعة وتوثباتها الكبيرة . وقد احتوت هذه المجموعة على قصائد اقل ما يقال فيها انها تتفجر ثورية واحاسيس ملتهبة وابداعا فنيا منلمس الومضات . وربما كانت قصيدته « طعام المقصلة » ،التي اهداها الى الشهيد العربي البطل عبدالرحمن خليفة هي من غرر شعر هذه المجموعة . وقد نشرها في الشهر الثامن من عام ١٩٦٠ في جريدة « الحرية » البغدادية ثم اعادالجواهري الكبير نشرها في اليوم الثاني في جريدته « الرأي العام » نقلا عنها بعد ان قدم لها مقدمة نثرية مكبرا فيها شاعرية الحلي ووطنيته الصادقة ، مع اضافة ثلاثة ابيات على قصيدته من نفس الوزن والقافية ،وهذه بضعة ابيات من القصيدة المذكورة :

لا تقل مات ... لن يموت الشهيد ولنا الثأر والفداء الجديد
والغد الخصب والقرابين انى نشهق الارض او يفض الجليد
ولنا الفكر والرؤى وانطلاق الروح والفن والتراث المجيد
لا تقل مات ! ويح ويح المنايا وعلى الرمل من ربانا صديد
لن يموت الصباح انا بقاياه ويفنى الدجى ويبلى الحديد
لا تقل مات ! ساح (وهران) نبع للبطولات ، والسرابا حصيد
سوف تندى الرمال والحجر الصلد ويخضر من لظى الدم غود

ولا يمكن ان يفسر نشر الجواهري لقصيدة الحلي نقلا عن جريدة الحرية وكتابة مقدمة نثرية لها مع ثلاثة ابيات في اولها الا تفسيرا واحدا ، وهو ان الجواهري يؤمن بان الحلي شاعر له صوته ومكانته في عالم الشعر وانه واحد من الشعراء المبدعين .

وبعد عام واحد يطل علينا (الحلي) بمجموعته الرابعة « ثورة البعث » التي قدر لها ايضا ان تمنع من الدخول الى العراق ، وكل الاقطار العربية الاخرى ما عدا القطر السوري آنذاك وفي اعقاب « تشرين » من عام ١٩٦٣ . وقد حفلت هذه المجموعة بقصائد ثورية محتدمة المشاعر وملتهبة العواطف ومشتعلة الاحاسيس تمثل شاعريته التي مر بها في فترات زمنية مختلفة .

ولعل قصيدة « الشهيد فرحات حشاد » تبرز من بين جميع قصائدها بروزا واضحا لانها تمتلىء بالومضات الخاطفة واللمحات الفنية العالية وتمتلك زخما شعوريا متقدا وحشدا ثوريا حادا ولان في احرفها تناغما وتساوقا رائعين .

زمري ويك يا بطاح الاضاحي ثورة اللحن من أغاني الجراح
وازفري اللاهبات يا زمزمات الدم والنار في السفوح الفساح
رنمي للفخار ، للعزة الشماء ، للشمس ، للضحى ، للطماح
وانحري الآه واختفي همهمات اليأس يا زمرة الظلام المتاح
واستفيقي من الكرى يا روابي الشرق فالويل للشجى والنواح

الى ان يختم هذه القصيدة الحاشدة بالصور الرائعة والالوان الجميلة بهذا البيت الاسر :

نحن كفارة الاسى ، ورعايا البلد السمح، والحمى المستباح

ويجد القارىء في هذه المجموعة عدة قصائد تكاد تعلن عن نفسها بانها ولدت في محراب الشاعرين الكبيرين الجواهري ومحمود حسن اسماعيل لشدة التصاقها بنفسهما المؤثرين بشاعرية الحلي . وهذا الامر باعتقادي لا يشكل هبوطا في قدرة الشاعر على ابداعاته الشعرية اذا لم يكن حائما في عوالمهما بالذات ودائرا في فلك معانيهما دورانا كليا . وهذا هو شان (الحلي) بهذه المسالة فهو لا شك متأثر بالجواهري الكبير وبالشاعر المصري محمود حسن اسماعيل تأثرا كبيرا وانه ليفتخر ويعتز بذلك ، ولكنه في الوقت نفسه لا يحاول ان يدور في سماء معانيهما الشعرية بل ينتقي معانيه ومضامينه من تجاربه الخاصة وايحاءاته الفكرية المعمقة . فقصائد (الكادحون) و (يامصر الحرة لا تهني) ، و (الشهاب

الدامي) و (دمـاء على الشاطىء) و (السجيـن) و (انفاس المدينة) و (عرس الثورة) و (عائدون مع الفجر) و (السـودان الجديـد) و (الشهيد جول جمال) و (ياحارس النار) و (الجمهورية العربية المتحدة) و (قبية الشهيدة) و (الليل المصلوب) و (البعث اقوى) و (سارق الاكفان) و (الطاغية) و (ثورة ٨ اذار الاشتراكية) .هذه القصائد الحارة في عواطفها الجياشة في انفعالاتهـا وزخم ارهاصهـا لتعطي الدليل الكامل على مدى التمزق النفسي والتوهج الروحـي والخيالـي الذي يعيش في مداراته الشاعـر الحلي الذي يحمـل قضيته ، قضيـة الوطن والامة وصراع الانسان من اجـل حريتـه وانتصاره على قوى الظلام والانحدار .

و (المشردون) هي القصيدة الطويلـة التي كتبهـا الحلي فـي عـام ١٩٥٤ ، ايام غرق بعض نواحي مدينة بغداد الجميلة . وما زلت اتذكـر كيف انني كنت استلمه استلاما من غرفته في البيت وهو منكب على كتابة اجزائها الطويلـة ، وكذلك كـان يفعل معه الاستاذ عبدالله نيازي لنذهب الى مقهى (الجرداغ) في الاعظميـة او مقهى الجسر على شاطىء دجلة في الكاظميـة . وتمتاز هـذه القصيدة بالحس الانساني العميق وبالثورة العارمة على اولئك الطغاة الذيـن ما كـان يشغل بالهم الا جمع الثروات الطائلـة والتنعم في اقطار اوروبا الجميلة دون ان يحسبوا للشعب المنكوب بخيراته اي حساب . ولهذا جاءت في اجزاء كثيرة من مقاطعهـا دون مستوى فنيته التي نعهدهـا في مجموع شعره باعتبارهـا وليدة الفورة العاطفيـة الانية ، الاحساس الجائش بفداحـة الكارثة ومدى استهانـة الحكام الجائريـن بمقدرات هـذا الوطـن الوافـر الخيرات .

ولعـل مجموعته السادسة « غريب على الشاطىء » هي رائعـة الحلي وذروته الشعريـة حسب معتقدي ، فقد أعطى فيها لشاعريتـه من الحريـة ما لـم يعطه في غيرها من مجاميعه السابقة واطلق بهـا العنان لنفسه وهواجسه الكامنـة وتهويماته التي ربمـا كان قد حبسها مدة طويلـة ولم يحاول الافصاح عنهـا او قل بالاحرى نشرهـا باعتباره شاعـر قضيـة مقدسـة لا ينبغي ان يتجاوزهـا الى مـا سواهـا في تلـك الظروف العصيبة التي كـان يمر بها الشعب العربـي الطامح. فالقصيدة الاولى التي يستهل بهـا هذه المجموعـة والتي يهديهـا الى ابنته الحلوة الرائعـة الجمال (زينب) « قبيل الرحيل » لتكـاد تنضح شـدوا وعبيرا وافانين من مسح جمالية لا حد لها :

وتكركرين كنبـع ساقيـة	اغفى على سبحاتهـا القمـر
يا انت يا قيثارة بدمـي	تعب اللحون ويصدح الوتر
وربيع ضحكـات ملونـة	هيمانـة بالسحـر تانـزد
من اي نبع كنت اشربـه	طل الحنان . فينتشي المطر

وتبرز كذلك قصيدة « شظايا » وقصيدة « حنين » الرائعتـان والمحملتان بالصور الآخاذة والتعابير الاسرة . وقصيدة « من أنت ؟ » تنفـرد بمعاناة خاصة وكذلك بتجربة فريدة ايضا . ومنها قوله :

وسكبت وجداني بمبسمها	وعصرتها في واحـة الصمت
وشممت من اعطافها ندمي	وسالتها .. اواه من انت ؟

وان الحلي حتى في هذه القصائد وامثالهـا التي تعج بهـا هذه المجموعة تراه يعرج بصورة عفويـة ليتذكر بهـا شرقـه الجميـل ووطنه الذي يجثم على صدره الغريب المستبيح بكلمـات موحيـة واستعارات جميلة من خلال البوح العاطفي والحلم المنتشي في لحظات الانتشاء الروحي الذي اوصد ابوابه الحرمـان الطويل . وهو مـا نجده في قصائد (عدت طفـلا) و (محاورة) و (لقاء) و(قلق) و (عرس الخطايا) و (ضلال السراب) و (غريب على الشاطىء) وقد تبدو قصيدة (الليل المغلول) وقصيدة (في طريق الصمت) شاذتين بعض الشيء عن قصائد المجموعـة لانهمـا اقرب الى خطه الشعري العام الذي ألفناه في مجاميعه السابقـة من حيث قوة البناء اللفظي ودقة الصياغة التركيبيـة للكلمـات والتعابير الرومانسية الحادة والمتأزمـة تازمـا جارفـا لا يكـاد يترك القارىء الا وهو في حالة الم وجيشـان وثورة على كل ما هـو جامـد ومتحجر فوق هذه الارض .

في مجموعـته الاخيرة « شمس البعث والفداء » التي اصدرتها وزارة الاعلام عام ١٩٧١ ، يسجل الحلي على نفسه حسب ظني شيئا من الهبوط عن مستواه الشعري الذي عرفناه فيه طيلة اكثر من عشرين سنة الا في قصائد معدودة كقصيدة (الغربة والشاعر والقدر) وقصيدة (جيفارا) و(الحب والمقاومة) و (شدوان والليل والموت) و (سام) و (ملحمة البعث) و (الى بدر السياب) . واعتقـد بان قصيدتـه (صلاة بلا وداع)التـي كتبهـا في رثاء الفنـان الراحل حيدر العمر هي اروع ما في هذه المجموعـة من حيث المحتوى الفني والاصالة في الشاعريـة المستجيبة لكل الاهتزازات النفسيـة والهجسات الروحية الكامنـة في اعماق الذات المشبوبة الما والمحترقـة في انـون اللهـب العاطفي الذي تبعثه الذكريـات الجميلـة المنطفئة العيـون . فما اعذب واصفـى قولـه :

احسك في وحشة الخاطر	والقاك في غربـة الشاعر
واشتاق حلو الحديث الندي	واطلالـة الموعـد الزاهـر
والمح عبر احتضار السراب	خيالـك يسبـح في ناظـري
فتشمت بي عبر ليل الهموم	حكايـات الف فـم ساخـر
كأنك من غصتي تستجيـر	بكفـارة القـدر الكافـر
(احيدر)ياومضة الذكريات	وداعـا مـع المزهـر الزامـر
شربنا من النيل والرافدين	أساطيـر محتـدم زاخـر

ومن قصيدته « ملحمة البعث » حيث يقول :

قبل فم النار من سقيا ضحايانا	وامسح به الشمس ياتاريخ صرعانا
من عضة الفارس المزعوم شهقتنا	ومن صهيل جياد الريح نجـوانـا

ومن قصيدة « الى بدر شاكر السياب » صديقه الحميم نـراه يبدع في كلمـات معدودة يكثف بهـا كل احاسيسه ومشاعره الدفينة، حيث يقـول :

كلماتك الخضر المزنبقة الحروف
ما زلت اسمع رجعها الصيفي موسيقى تطوف
في مقر ادبرة اللصوص البراعشين من الضياء
الواهبين الرق في سوق الخواء
واشم انفاس العبيـر تنز عريا في الجباه
لكن امحك يا رفيق الفن وجدان يتيه ، فلا تراه
فوق الجماجم غير جلجلة ، تعاوت من صداه !

وترتفع ايضا قصيدة « انتظار » عن كثير من قصائد المجموعة فنـا وتوهجا وانسيابا عفويـا وتدفقـا عاطفيـا مشتعل الاحاسيس ككـل شعره منذ بدايـة الخمسينات حتى نهايتها . وقـد كتب هذه القصيدة حينمـا كان في سجـن الموقف العام في الشهـر الحادي عشر مـن وتضوى من شرفة الرعب نار

ههنا نحن موعد وانتظـار	لا التقاء ولا عنـاق مثار
لا ارتواء من الربيع المندى	وعلى راحة الشفاه احتضار
تتشهى رؤى الاعاصير عبـر السجن بشرى ، فيستجير الاسار	
كل يوم نكفـن النار سرا	وتضوى من شرفة الرعب نار

ثم يقول فيها :

يا رفيق الصمود خطوي جراح	وارتعاشات خافقي اعصار
وشموعي من شعلة الفن تلظى	ابدا في الذرى يمور الشرار
ويدي قديـة لقيـد تلـوى	وعروقي تحـرق وانفجـار

وهتاف الحياة اقوى من الموت وللرجع من بقاياه نار

ولعلنا نستشف في قصيدته « كل عام وانتم بخير » ملامح مضيئة من شاعريته الدفاقة التي التمعت في الخمسينات التماعا كبيرا بحيث كان يعد واحدا من ابرز شعراء الشباب العراقيين الثوريين المجددين . فقد بدأ هذه القصيدة الحرة بابيات بسيطة معبرة فيها دفء الحداثة وعذوبة النغم برغم استعاراتها الكثيرة التي افقدتها عفويتها :

منذ عشرين سنة
في رحاب الدير تهذي الكهنة
ورياح التيه تطوي السدنة
كل ما هان . وما سوف يهون
من تراث الارض والانسان والمجد والوضيء
عبر خطو الزمن المهجور والموت البطيء
بصمات الليل في درب المجرة
ثم ما زلنا من الجدب ... نقول
دونما وجه ، ولا اشراق بسمة
كل عام يا اشقاء الاسى ... انتم بخير

وفي قصيدة « جيفارا » وقصيدة « مولد البعث » نراه شاعرا عموديا يملك كل اصالة الشعراء المبدعين والمحكمين بناء وجزالة وقوة اسلوب مع رقة في الالفاظ وانتقاء الكلمات المنغمة العذبة التي تدخل الى الاعماق وتعانق الشفاه على الرغم من كل ما يصعب تحقيقه او يعسر على الانسان التقدمي الثوري بلوغه او الوصول اليه. وربما كان انصراف (الحلي) الى الحياة الدبلوماسية منذ بداية عام ١٩٦٣ الى حين اصداره هذه المجموعة قد افقده شيئا من حرارته الشعرية السابقة لا سيما وان اطلاعاته التي تنوعت في كل مجال من مجالات الثقافة والفكر لم تعد تجعله يؤمن بان الحياة ليست الا واحة شعر فقط . ولهذا صار يكثر القراءة من الترجمة عن اللغة الانكليزية لالمامه الجيد بها حتى انه كتب بها عدة قصائد وأصدرتها وزارة الاعلام بعنوان « قصائد مختارة » ومع كل ذلك فان (الحلي) يبقى صاحب ذلك الصوت الشعري التقدمي الذي لعب دورا كبيرا طيلة فترة الخمسينات وما بعدها ، فقد كان احد الادباء الذين اسهموا في اجتماعات المثقفين التابعين لفصائل الجبهة الوطنية قبل ثورة الرابع عشر من تموز . وكان ايضا احد مؤسسي اتحاد الادباء العراقيين الذي قام وانشىء بعدها مباشرة . وبالرغم من انه كان من اوائل المجددين في الشعر منذ بداية الخمسينات الا انه ظل مدافعا عن التراث العربي وعن اللغة العربية دفاعا صادقا لايمانه بمشبوهية بعض الدعوات التي تتعالى بين فترة واخرى الى ترك كل أبنية الشعر العربي القديمة وتهديمها تهديما تاما ومحو كل معالمها حتى ينشأ جيل ادبي يستقي ثقافته ومرتكزاته الادبية من العالم الاوروبي الحديث .

وقد كانت مقالاته في الصفحة الادبية لجريدة (اليقظة البغدادية) من عام ١٩٥٣ الى نهاية عام ١٩٥٤ خير ما يستشهد به في هذا المعنى . وقد اصبحت هذه الصفحة ملتقى لكثير من الادباء العراقيين والمصريين بعد ان تولى هو الاشراف عليها . فقد كتب فيها كل من صلاح عبدالصبور وكمال نشأت واحمد كمال زكي وغيرهم من ادباء الجمعية الادبية المصرية انذاك .

ثم سار على هذا النهج نفسه بعد ثورة (١٤) تموز حينما تولى الاشراف على الصفحة الاولى لجريدة « الجمهورية » وعاد ايضا وبنفس الروحية تلك يعلنها صيحات عالية منبها ادباء الجيل التقدميين الى خطر الانصراف عن تمجيد التراث العربي لحد الانكار عندما تولى الاشراف على الصفحة الادبية لجريدة الثورة من اوائل ايلول عام ١٩٧٠ يؤازره في ذلك ادباء تقدميون عرفوا باخلاصهم للقضية الادبية وللفكر التقدمي الثوري منذ الخمسينات ، من امثال الكمالي ونيازي ويوسف عبدالمسيح ثروة ونزار عباس وعامر رشيد السامرائي ومحمد جميل شلش وعبدالمجيد لطفي . وكنت انا واحدا ممن اسهموا في ذلك ايمانا مني بصدق هذه الصيحة التي كان لا بد لها ان تعلن لتقوم الخطأ الذي بدا يتسرب الى بعض المواقع ادبية الجديدة التي لم تطحنها التجارب بعد ولم تعركها الايام .

ان (الحلي) شاعر يؤمن بقضيته العادلة التي دافع عنها دفاعا مستميتا ووهبها كل حياته ولقي في سبيلها ما لقي من ضروب الاضطهاد والتنكيل والبطش طيلة عشرين عاما ، شأنه شأن اخوته من الادباء التقدميين الثوريين على اختلاف مبادئهم وافكارهم واتجاهاتهم السياسية والفكرية . فهو بقدر ما كان يتصادى مع اخوته ورفاقه الادباء القوميين الثوريين من امثال الكمالي ونيازي وشلش وهلال ناجي كان يتصادى ايضا وبكل تجرد مع السياب والبياتي وكاظم جواد وبلند الحيدري وعبدالرزاق عبدالواحد وحسين مردان وعبدالملك نوري وفؤاد التكرلي ونزار عباس ورشدي العامل وعلي الشوك ومحمود العبطة وسعدي يوسف وعبد المجيد الونداوي وعلي جليل الوردي وغيرهم . بل انه كان يعتبر السياب ايام كان شيوعيا غنيفا هو الشاعر الذي يلي الجواهري ابداعا في الشعر العراقي بالرغم من انه ما كان قد تعرف عليه شخصيا بعد ، وذلك في بداية عام ١٩٥٢ حين كنت التقي به وبنيازي والكمالي في مقاهي الاعظمية وبغداد . وقصائد (الحلي) الثورية في تمجيد الحركات التقدمية في العالم تشهد على صحة ما اذهب اليه . فلم يكن يكتب عن بطولة الشعب العربي الثائر في الجزائر ومصر وسوريا والسودان وتونس فقط بل كتب ايضا وبنفس الحرارة والعاطفة المتأججة قصيدة عن انتصار الشعب الفيتنامي في معركة قلعة (ديان بيان فو) عام ١٩٥٠ ، ونشرها في جريدة (النضال) الموصلية بتوقيع « لهيب » اسماها « الصعاليك » وكان هذا الاسم كناية عن المستعمرين الذين يريدون ان يسلبوا ثروات الشعوب المستضعفة وخيراتها اغتصابا واستلابا . وكتب قصيدته « مصرع الوحش » انتصارا للشعب الكوري المناضل . وكما انه كتب قصائده المشهورة في تمجيد بطولات الشهداء الافذاذ مثل « فرحات حشاد وعبدالرحمن خليفة وحسني حماد وعبدالقادر الحسيني وجول جمال » كتب ايضا قصائد ملتهبة في الشهيدين « لومومبا وجيفارا » لانه يعتقد بان كفاح الانسان الثوري واحد في كل بقعة من بقاع الارض . وان القضية التي يدافع عنها الشاعر التقدمي لا تنحصر في حدود وطنه وامته فقط بل تتسع مدى وتمتد آفاقا كلما كان اكثر وعيا وانضج فكرا واعمق ايمانا بقضية الحرية الواحدة في كل ارجاء العالم .

بهذا كان يتسم شعر (الحلي) وما يزال . ولهذا يصدق عليه القول بانه شاعر القضية التي ملكت عليه وجدانه وروحه وفكره وصبغته بهذه الصبغة الحية والتي ستظل تشهد له بانه واحد من الشعراء العرب الثوريين المعاصرين الذين وقفوا صامدين وبكل نبل وامانة الى جانب جماهير امتهم المناضلة في اشد الظروف واحرج اللحظات من تاريخها الكفاحي المجيد غير متنكرين لقدسية الحرف وشرف الكلمة .

بغداد